

الفصل الثاني

إبراهيم عليه السلام والأصنام

- الإنسان بفطرته يبحث عن الله .
- الله تعالى أعلى من الإدراك .
- عبادة الأوثان .
- إبراهيم عليه السلام وعبادة الأصنام :
- إبراهيم عليه السلام يحطم الأصنام .

وأستطاع الشيطان أن يصيب عقائد بنى آدم بالعطب والفساد حتى عبدوا غير الله. ففي زمن نوح وإبراهيم عليهما السلام عبدوا الأوثان والأصنام وفي زمن موسى عليه السلام عبدوا القوانين والأسباب. ولكن الله تعالى تداركهم برحمته فأرسل الرسل ليصححوا للناس عقائدهم ويعيدوهم إلى طريق الهداية والرشاد. فهذا خليل الله إبراهيم عليه السلام يحطم الأصنام. وهذا كلیم الله موسى عليه السلام يدمر فرعون والمتألهين من البشر. وهذا عيسى عليه السلام يخرق الأسباب والقوانين بإذن الله. ليدل الناس على أن الله هو الفعال لما يريد. لأنه تعالى مُسن القوانين ومُسبب الأسباب. ومع مسن القوانين لاقانون. ومع مسبب الأسباب لا أسباب. ومع مكيف الكيفيات لا يقال كيف. فكيف تم ذلك؟ وكيف عالج الحق تبارك وتعالى هذه الأمور الشركية؟

هذا ما سنعرضه فى الفصول الثلاثة القادمة. حيث سنعرض فى بساطة ويسر طرق الشيطان فى الإغواء وطرق الله فى المعالجة. من خلال إرسال الرسل الذين يردون الناس إلى سبيل الحق وساحة الصدق.

● الإنسان بفطرته يبحث عن الله:

لا شك أن الكون بكل ما فيه من آلاء وآيات ونعم تستعصى عن الإدراك تلفت نظر وانتباه كل ذى بصر أو بصيرة. نحو التأمل والتفكير العميق فى غاية هذا الوجود. وفى محاولة معرفة الخلاق العليم الذى أوجده وأحكم خلقه وأبدع صنعه بهذا الجمال وهذه الضخامة. فلو اجتمع كل علماء الطبيعة والأحياء والكيمياء والفلك والطب ومختلف فروع العلم لكى يدركوا ما فى الكون من إبداع وترتيب وقدرة لما استطاعوا أن يحيطوا ولو بجزئية من أجزاء مخلوق من المخلوقات. ولعادوا حاسرين عاجزين. فضلا عن خلقه وإبداعه.

فالسماء وما فيها والأرض وما فيها وما عليها والفضاء وما يحتويه والبحار والأنهار. والأحياء الزاحفة والطائرة التى تمشى على رجلين أو أربع.

وكل ذلك يدل على تناسق وترتيب يستحيل معه العبث كما تقدم. ويحرك الإنسان ويحدو به منذ بدأ الخليقة نحو تحسس الغاية التى من أجلها خلق الوجود. والتطلع إلى معرفة الخلاق العليم الذى أبدع وصور. ولكن العقل والحواس. تقف

عاجزة عن إدراك تلك المخلوقات نفسها فكيف تدرك الخالق سبحانه وتعالى .. فلو فكر الإنسان في نهايات السماء لوقف عاجزاً. ولو فكر في حقيقة الروح لوقف عاجزاً ولو فكر في معاني الموت لوقف عاجزاً. فكيف يتطلع من وقف عاجزاً عن إدراك المخلوقات من حوله. وفي حقيقة نفسه. إلى إدراك الخلاق العليم المبدع لكل ذلك الإعجاز.

فالعقل يصل بنا إلى إدراك وجود الخالق وضرورته ولكنه لا يدخل بنا عليه. ففي كل تلك الآيات دلالة وعلامة على وجوده سبحانه. ولكن ما هو اسمه؟ وما هي صفاته؟ وما هي مطلوباته؟ لا أحد يعلم إلا هو سبحانه .. وليس عدم الإدراك دليل على انعدام الوجود .. لأننا كما سبق ننتفع بأشياء كثيرة لا ندري كنهها أو حقيقتها فمثلاً الروح والكهرباء والجاذبية والأثير. فكل ذلك ما هو؟ لا ندري ولكننا ندرك آثارها في حياتنا ومن حولنا.

علم عليم وعقل عاقل اختلفا	من ذا الذى قد أدرك الشرفا
العلم قال أنا أحرزت غايته	والعقل قال أنا الرحمن بى عرفا
فأفصح العلم أفصاحا وقال له	بأينا الله فى فرقانه اتصفا
فبان للعقل أن العلم سيده	فقبل العقل رأس العلم وانصرفا

ويضرب الشيخ الشعراوى لذلك مثلاً: فلو أن مجموعة من الأشخاص يجلسون فى غرفة. ثم طرقت طارق الباب فالكل يعلم ويوقن أن هناك طارق بالباب. ولكن من هو هذا الطارق؟ وهل هو رجل أم امرأة؟ وما هي حاجته؟ فلا أحد يعلم .. ولو حاولنا أن نخمن شخصه أو أن نحدد صفاته لاختلطنا فى ذلك كل الاختلاف. فإذا أردنا أن نصل إلى اليقين فى أمره. فعلينا أن نفتح الباب. لنعرف الحقيقة من خلاله هو. والله المثل الأعلى. لأن العقل والحواس تعطينا مقدمات لا حصر لها على وجود الخلاق العليم وضرورته. ولكن هذا العقل وتلك الحواس لا تدخل بنا عليه. لكى نعرفنا صفاته التى تتعالى عن الإدراك.

فإذا أردنا أن نتعرف عليه سبحانه. فعلينا أن ننتظر منه رسولاً ووحياً يقدم لنا المعرفة الصحيحة .. ومن هنا وجد الخلل. فالإنسان لا ينتظر ويظن أنه قادر على الإدراك. فيدخل ويلج الباب. وهو لا يدري أنه يدخل على المستحيل. فتتناوبه

الخيالات والشطحات والتخمينات ومع ذلك يظن أنه على شيء. ومن هنا وجدت كل تلك العبادات والمعبودات. فالكل يتحسس ويحاول ولكنه لا يملك إلا الظن.

فمرة نجد الإنسان يعبد النجوم والكواكب ويظن أنها رموز لقوى خفية تحركها وتضبط شئونها. وتارة يعبد ما يخاف ظناً منه أن عبادته له سوف تقيه شروره. وتارة يعبد ما يحب ويرتجى نفعه استكثاراً لخيريه. وهو يظن أن لكل ظاهرة من ظواهر الطبيعة إلهها يحكمها وينظم أمورها. فاللسماء إله. وللأرض إله. وللخير إله وللشر إله وللرياح إله وللمطر إله، وهكذا تعددت الآلهة بتعدد ظواهر الطبيعة. وهم لا يدركون بعد بعقولهم القاصرة. أنه لا يوجد سوى إله واحد هو خالق الجميع ومبدع الجميع والكل محتاج لمدده ورزقه وقدرته. ولو منع عنهم رزقه لماتوا جوعاً وعطشاً من فورهم.

سائلوا العين هل ترين الله
هل ترين الذي كسا الكون نوراً
هل ترين الذي أراك جمالاً
سائلوا العين هل ترين قديراً
وبنى الكون في نظام عجيب
سائلوا العين هل ترين حكيماً
ليس لله في الخلائق مثل
هو في الذات والصفات نزيه
أيها العقل قد عراك قصور
وكذا الأفق فيه كل عجيب
وكذا أنت أنت سر عجيب
أيها الفكر سبح الله واذكر
وتوسل به تجده نصيراً
من قديم الزمان والناس طرا

هل ترين الذي كسا الكون جاهاً؟
فوق نور بحيث لا يتناهى؟
يمتع الروح والسماء بناها
بدأ الخلق نطفة سوها؟
يبهر الناظر الذي يتباهى
لا تراه العيون لكن يراها؟
فإذا كان لا يكون إلهاً؟
عن شبيهه إذا المعاند شاها
فهذه الأرض لا تريك مداها
جعل الفكر فيه حار وتاها
لست تدري فكيف تدري الله؟
وتأمل في كونه تتناهى
لك في الضيق إذ يرى لك جاها
يعبدون طعاماً وطينا ثم ناراً

يقدسون لظاهها

فيكون آخر عهده به . وأول عهده به . ولهذا قالوا لما بعث النبي ﷺ : ﴿ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴾ [ص : ٥] . قال أبو رجاء العطاردي : كنا نعبد الحجر في الجاهلية . فإذا وجدنا حجراً هو أحسن منه تلقى ذلك وناخذة . فإذا لم نجد حجراً جمعنا حثية من تراب . ثم جئنا بغنم فحلبناها عليه . ثم طقنا به . وكذا نعهد إلى الحجر الأبيض فنعبده زمناً ثم نلقيه .

وكان عمرو بن الجموح سيد من سادات بنى سلمة وشريفاً من أشرفهم وكان قد اتخذ في داره صنماً من خشب يقال له مناة يعظمه ويظهره . فلما أسلم ابنه معاذ بن عمرو بن الجموح وصاحبه معاذ بن جبل . كانوا يدجون بالليل على صنمه فيحملونه ويطرحونه في بعض الحفر وفيها الأوساخ والقاذورات . فإذا أصبح عمرو يغدو يلتمسه حتى إذا وجدته غسله وطهره وطيبه ثم قال : والله لو أعلم من فعل هذا بك لأخذتته . فإذا أمسى ونام غدوا ففعلوا بصنمه مثل ذلك . فيغدو فيلتمسه فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى . وبعد مرات جاء بسيفه فعلقه عليه . وقال : إن كان فيك خير فامتنع بهذا السيف معك . فلما أمسى ونام . غدوا عليه وأخذوا السيف من عنقه . ثم أخذوا كلباً ميتاً فقرنوه به بحبل ثم ألقوه في البئر . وغدا عمرو فلم يجده . فخرج يتبعه حتى وجده في تلك البئر منكساً مقروناً بكلب ميت . فلما رآه وأبصر شأنه . وكلمه من أسلم من قومه . أسلم وحسن إسلامه . فقال حين أسلم وعرف من الله ما عرف وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره . وهو يشكر الله أن أنقذه مما كان فيه :

والله لو كنت إلهاً لم تكن أنت و كلبٌ وسط بئر في قرنٍ
أف للملأك إلهاً مُستَدنٌ الآن فتشاك عن سوء الغبنِ
الحمد لله العلى ذى المنن الواهب الرزاق ديان الدين
هو الذى أنقذنى من قبل أن أكون فى ظلمة قبر مُرتهن

● إبراهيم عليه السلام وعبادة الأصنام :

ولد إبراهيم ونشأ في عصر يعبد قومه الأصنام . بل كان أبوه وعمه صانعين لها . . وكانت هناك فئة أخرى تعبد الكواكب والنجوم والشمس والقمر . وفئة ثالثة تعبد الملوك والحكام . وقد أطفئت أنوار العقل في مشارق الأرض ومغاربها . وجلس

الظلام على عروشه المتعددة واشتد ظمأ الأرض إلى الرحمة. واشتد جوعها إلى الحق. وفي هذا الجو ولد ونشأ إبراهيم. وقدر له أن يقف ضد أسرته وضد نظام مجتمعه وضد أوهام قومه وظنون الكهنة. وعبدة النجوم والكواكب. والحكام المتألهين. وكل أنواع الشرك القائم^(١).

فمنذ الطفولة يسأل عن هذه الأصنام. فيقولون له إنها تماثيل الآلهة. ويدهش إبراهيم ويحس داخل عقله المضيء بالرفض. فقد كان يلعب وهو طفل بهذه التماثيل ويمتطي ظهورها. مثلما يمتطي الناس ظهور الحمير والبغال. وأمره أبوه يوماً ألا يلعب بهذه التماثيل. ويتعجب الطفل من هذه الآلهة الكثيرة المصنعة من الخشب أو الحجر. والتي يصنعها الإنسان العاقل بيده ثم يسجد لها بعد ذلك وهو أحق منها بذلك - ولعياذ بالله - لأنه صانعها. ثم إنه حتى يأكل ويشرب ويتنفس. وينفع غيره ويضره. أما هي فميته. لا تأكل ولا تشرب ولا تتكلم ولا تدافع عن نفسها. ولا تستطيع أن تعتدل لو قلبها أحد على جانبها. وعذب التفكير إبراهيم طويلاً.

وكان في وسط المحراب توضع تماثيل أكبر الآلهة. وكانت هذه الآلهة أصنافاً وأنواعاً وأشكالاً. وكان يشعر لها باحتقار عظيم. ولكن المدهش هو الناس الذين ما أن يدخلوا المعبد حتى يخفضوا رؤوسهم ويحنوا ظهورهم بل ويبكون. ويسألون. وهي لا تسمع ولا تفهم. والمنظر يبدو مضحكا. ولكنه بدأ يحس بالغضب. بل ويصرح باحتقاره وكرهيته وثورته على ما يحدث فقال لهم: ﴿ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥٢] ويسألهم ﴿ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ ﴾ [الشعراء: ٧٣] ويسأل أباه ﴿ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴾ [مريم: ٤٢].

وقد دخل إبراهيم عليه السلام على أمه مهموماً محزوناً وسألها في اهتمام بالغ: يا أمي من ربي؟ قالت: أنا ربك. ألسنت مريبتك ومطعمتك وساقيتك وراعتك. فسألها: ومن ربك أنت؟ قالت: أبوك. فهو الذي يرعانا ويطعمنا ويسقينا. فسألها: ومن رب أبي؟ فهو يريد أن يصل إلى الرب الأعلى وإلى الرب غير المربوب الذي يُطعم

(١) أنبياء الله - أحمد بهجت.

فيكون آخر عهده به . وأول عهده به . ولهذا قالوا لما بعث النبي ﷺ : ﴿ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴾ [ص : ٥] . قال أبو رجاء العطاردي : كنا نعبد الحجر في الجاهلية . فإذا وجدنا حجراً هو أحسن منه نلقى ذلك ونأخذه . فإذا لم نجد حجراً جمعنا حثية من تراب . ثم جئنا بغنم فحلبناها عليه . ثم طفنا به . وكذا نعهد إلى الحجر الأبيض فنعبده زمننا ثم نلقيه .

وكان عمرو بن الجموح سيد من سادات بنى سلمة وشريفاً من أشرافهم وكان قد اتخذ في داره صنماً من خشب يقال له مناة يعظمه ويظهره . فلما أسلم ابنه معاذ بن عمرو بن الجموح وصاحبه معاذ بن جبل . كانوا يدجلون بالليل على صنمه فيحملونه ويطرحونه في بعض الحفر وفيها الأوساخ والقاذورات . فإذا أصبح عمرو يغدو يلتمسه حتى إذا وجده غسله وظهره وطيبه ثم قال : والله لو أعلم من فعل هذا بك لأخذيته . فإذا أمسى ونام غدوا ففعلوا بصنمه مثل ذلك . فيغدو فيلتمسه فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى . وبعد مرات جاء بسيفه فعلقه عليه . وقال : إن كان فيك خير فامتنع بهذا السيف معك . فلما أمسى ونام . غدوا عليه وأخذوا السيف من عنقه . ثم أخذوا كلباً ميتاً فقرنوه به بحبل ثم ألقوه في البئر . وغدا عمرو فلم يجده . فخرج يتبعه حتى وجده في تلك البئر منكساً مقروناً بكلب ميت . فلما رآه وأبصر شأنه . وكلمه من أسلم من قومه . أسلم وحسن إسلامه . فقال حين أسلم وعرف من الله ما عرف وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره . وهو يشكر الله أن أنقذه مما كان فيه :

والله لو كنت إلهاً لم تكن أنت وكلبٌ وسط بئر في قرنٍ
أف لملقائك إلهاً مُسْتَدِنٌ الآن فتشناك عن سوء الغبنِ
الحمدة لله العلى ذى المنن الوهاب الرزاق ديان الدين
هو الذى أنقذنى من قبل أن أكون فى ظلمة قبر مُرتهن

● إبراهيم عليه السلام وعبادة الأصنام :

ولد إبراهيم ونشأ في عصر يعبد قومه الأصنام . بل كان أبوه وعمه صانعين لها . . وكانت هناك فئة أخرى تعبد الكواكب والنجوم والشمس والقمر . وفئة ثالثة تعبد الملوك والحكام . وقد أطفئت أنوار العقل في مشارق الأرض ومغاريبها . وجلس

الظلام على عروشه المتعددة واشتد ظمأ الأرض إلى الرحمة. واشتد جوعها إلى الحق. وفي هذا الجو ولد ونشأ إبراهيم. وقدر له أن يقف ضد أسرته وضد نظام مجتمعه وضد أوهام قومه وظنون الكهنة. وعبدة النجوم والكواكب. والحكام المتألهين. وكل أنواع الشرك القائم^(١).

فمنذ الطفولة يسأل عن هذه الأصنام. فيقولون له إنها تماثيل الآلهة. ويدهش إبراهيم ويحس داخل عقله المضىء بالرفض. فقد كان يلعب وهو طفل بهذه التماثيل ويمتطي ظهورها. مثلما يمتطي الناس ظهور الحمير والبغال. وأمره أبوه يوماً ألا يلعب بهذه التماثيل. ويتعجب الطفل من هذه الآلهة الكثيرة المصنعة من الخشب أو الحجر. والتي يصنعها الإنسان العاقل بيده ثم يسجد لها بعد ذلك وهو أحق منها بذلك - ولعياذ بالله - لأنه صانعها. ثم إنه حتى يأكل ويشرب ويتنفس. وينفع غيره ويضره. أما هي فميته. لا تأكل ولا تشرب ولا تتكلم ولا تدافع عن نفسها. ولا تستطيع أن تعتدل لو قلبها أحد على جانبها. وعذب التفكير إبراهيم طويلاً.

وكان في وسط المحراب توضع تماثيل أكبر الآلهة. وكانت هذه الآلهة أصنافاً وأنواعاً وأشكالاً. وكان يشعر لها باحتقار عظيم. ولكن المدهش هو الناس الذين ما أن يدخلوا المعبد حتى يخفضوا رؤوسهم ويحنوا ظهورهم بل ويبكون. ويسألون. وهي لا تسمع ولا تفهم. والمنظر يبدو مضحكا. ولكنه بدأ يحس بالغضب. بل ويصرح باحتقاره وكرهيته وثورته على ما يحدث فقال لهم: ﴿ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥٢] ويسألهم ﴿ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يُضُرُّونَ ﴾ [الشعراء: ٧٣] ويسأل أباه ﴿ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴾ [مريم: ٤٢].

وقد دخل إبراهيم عليه السلام على أمه مهموماً محزوناً وسألها في اهتمام بالغ: يا أمي من ربي؟ قالت: أنا ربك. ألسنت مربيتك ومطعمتك وساقيتك وراعتك. فسألها: ومن ربك أنت؟ قالت: أبوك. فهو الذي يرعانا ويطعمنا ويسقينا. فسألها: ومن رب أبي؟ فهو يريد أن يصل إلى الرب الأعلى وإلى الرب غير المربوب الذي يطعم

(١) أنبياء الله - أحمد بهجت.

ولا يُطعم ويجير ولا يجار عليه. فقالت: النمرود: أى الحاكم - الذى يوفر لنا أسباب الحياة. فسألها ومن رب النمرود؟ فقالت له: كف عن هذا يا إبراهيم!

ولكن هذه الإجابة لم تفتح نهمه نحو المعرفة واليقين. فخرج إلى الكون بسمائه وأرضه ونجومه وكواكبه وبحاره وأنهاره ليسأله ويستوضحه ويتعرف منه. ويُعرف قومه من خلاله. من هو الخلاق العليم الذى يستحق العبادة ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونُ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفَلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لئن لم يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٥ - ٧٩] وهذا المقام مقام مناظرة لقومه. وبيان لهم أن هذه الأجرام المشاهدة من الكواكب النيرة والنجوم الزاهرة لا تصلح للألوهية ولا أن تعبد مع الله عز وجل. لأنها مخلوقة مربوبة مصنوعة مسخرة. تطلع تارة وتافل أخرى.. فتغيب عن العالم والرب تعالى لا يغيب ولا تخفى عليه خافية. بل هو الدائم الباقي بلا زوال.

فبين لهم أن الكواكب لا تصلح لذلك ثم ترقى منها إلى القمر الذى هو أضوأ منها وأبهى. ثم ترقى إلى الشمس التى هى أشد الأجرام المشاهدة ضياءً وسناءً وبهاءً. فبين أنها مسخرة مسيرة كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [فصلت: ٣٧] ثم وضع لهم أنه لا يبالي من هذه الآلهة الزائفة التى يعبدونها من دون الله. فإنها لا تنفع ولا تضر ولا تسمع ولا تعقل. بل هى إما مخلوقة مسخرة أو مصنوعة منحوتة أو محفورة منجورة.

ثم أراد إبراهيم عليه السلام أن يرتقى فى معرفته بربه وأن يرى رأى العين قدرة ربه تعالى على أحياء الموتى فقال: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِم تُوْمِنَ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخَذُ مِنْ أَرْبَعَةٍ مِّنَ الطَّيْرِ فَصَرَّهُنَّ لِيَلِكْ ثُمَّ

اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ .

[البقرة: ٢٦٠]

أى أمره الله أن يأخذ أربعة من الطير. قيل طاووس وحمامة وغراب ويمامة وأن ينظر إليهن جيداً أو أن يتبين ملامحهن ثم يذبحهن ويقطعهن ثم يخلط اللحم باللحم والعظم بالعظم والدم بالدم والريش بالريش. ثم يفرق أجزاءها على الجبال. ثم ينادى على كل طائر بأسمه. فإنها ستطير إليه بحيث يجتمع اللحم إلى اللحم والعظم إلى العظم والدم إلى الدم والريش إلى الريش حتى يكتمل كل طائر أمامه ثم يأتينه سعياً. وحينئذ يكون قد رأى الميت يعود حياً. بقدرة رب العالمين. ففعل. ونادى الطيور فعدت إليه صحيحة كأنها لم تذق للموت طعاماً.

● إبراهيم عليه السلام يحطم الأصنام:

﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ * أَنْفَكَ آلِهَةٌ دُونَ اللَّهِ تَرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ * فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ * فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ * فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ * فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ * قَالَ أَعْبُدُونَ مَا تَحْتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ * قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَنْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ * فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ [الصافات: ٨٣ - ٩٨]. وفي سورة الأنبياء أنه حطم تلك الأصنام وقال لهم: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أَفَ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٦ - ٧٠].

أى أنه أنكر على قومه عبادة الأصنام وحرقها وصغرها وتنقصها. وكانت حجتهم في عبادتها صنع الآباء والأجداد. فاعلن عداوتها وتبرأ منها. فلو كانت تضر لضرته. أو تؤثر لأثرت فيه. فقد كان لهم عيداً يذهبون إليه في كل عام مرة. فدعاه أبوه ليحضره. فقال: إني سقيم. أى عرض لهم فى الكلام حتى توصل إلى مقصوده.

فلما خرجوا إلى عيدهم . ذهب إلى الأصنام فوجدوها فى بهو عظيم وبين يديها ألواناً من الأطعمة . فقال لهم متهكماً مزدرياً « ألا تاكلون » ثم أخذ فى هدمها حتى جعلها حطاماً . إلا كبيراً لهم . ثم وضع القدوم فى يد ذلك الكبير . إشارة إلى أنه غار أن تعبد معه هذه الصغار .

فلما رجعوا من عيدهم ورأوا ما حل بآلهتهم تساءلوا عمن فعل هذا بها؟ فأجاب بعضهم . إنه إبراهيم الذى يذكرها بالسوء والتنقص والوعيد . ففضوا وحكموا بإحراقه على أعين الناس . . وشرعوا يجمعون حطباً من جميع ما أمكنهم من الأمكنة . . ثم عمدوا إلى منطقة واسعة ووضعوا فيها ذلك الحطب وأطلقوا فيها النار . فاضطربت وتأججت والتهبت وعلا لها شرر لم ير مثله .

ثم وضعوا إبراهيم فى منجنيق وأخذوا يقيدونه ويكتفونه وهو يقول : لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك . ثم قذفوه فى النار وهو يقول : حسبنا الله ونعم الوكيل . وهنا عرض له جبريل عليه السلام فى الهواء . وقال : يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال أما إليك فلا . فقال إذن فاسأل الله . قال علمه بحالى يغنيه عن سؤالى . وجعل ملك المطر يقول : متى أومر فأنزل المطر؟ فكان أمر الله أسرع . فقال تعالى : ﴿ يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ فإذا بها برداً وسلاماً عليه فلم تحرق منه إلا قيوده . حتى خرج منها سليماً معافاً برحمة الله رب العالمين .

وتوكل على الرحمن فى الأمر كله فما خاب حقاً من عليه توكل
وكن واثقاً بالله واصبر لحكمه تفز بالذى ترجوه منه تفضلاً

* * *